سورة التوبة

١٦٥ ـ قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾[٢ ، ٣] ليس بتكرار؛ لأن الأول للمكان، والثانى للزمان ، وقد تقدم ذكرهما فى قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[(١)][٢].

١٦٦ ـ قوله: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾[١١] ليس بتكرار؛ لأن الأول فى الكفار، والثانى فى اليهود فيمن حمل قوله: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾[٩] على التوراة، وقيل: هما فى الكفار، وجزاء الأول: تخلية سبيلهم، وجزاء الثانى: إثبات الأخوة لهم، والمعنى بإثبات الله القرآن[(٢)].

١٦٧ ـ قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾[٧] ثم ذكر بعده: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾[(٣)][٨] واقتصر عليه، فذهب بعضهم إلى أنه تكرار للتأكيد، واكتفى بذكر﴿كَيْفَ﴾ عن الجملة بعده، لدلالة الأولى عليه، وقيل: تقديره: كيف لا تقتلونهم. فلا يكون من التكرار فى شىء.

١٦٨ ـ قوله: ﴿لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾[٨] وقوله: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾[١٠]، الأول: للكفار، والثانى: لليهود. وقيل: ذكر الأول وجعل جزاء للشرط، ثم أعاد ذلك تقبيحاً لهم قال: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾]، فلا يكون تكرارًا محضًا.

١٦٩ ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [٢٠] إنما ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فى هذه السورة لموافقة قول قبله: ﴿وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[١٩]، وقد سبق ذكره فى «الأنفال»، وقد جاء بعده فى موضعين:

---

(١) الطبرى (١٠/ ٤٢) وما بعدها، والبحر المحيط (٥/ ٥)، وفتاوى النووى (ص ٢٤٤) مسألة (١٧٤) وفتح الرحمن (ص ١٦٣) مسألة رقم (٣).

(٢) الجزاء فى الآية الأولى [٥] قوله: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، وفى الآية رقم [١١] ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

(٣) تفسير الطبرى (١٠/ ٦٠)، وفيه: «والإل: اسم يشتمل على معان أربعة: وهى العهد، والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضًا بمعنى الله» أهـ بتصرف. وانظر فتح الرحمن (ص ١٦٤) مسألة رقم (٤).

﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ليعلم أن الأصل ذلك، وإنما قدم هاهنا؛ لموافقة ما قبله فحسب.

١٧٠ ـ قوله: ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ﴾[1][٥٤] بزيادة باء، وبعده: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا﴾[٨٠ ، ٨٤] بغير باء فيهما، لأن الكلام فى الآية الأولى إيجاب بعد نفى، وهو الغاية فى باب التأكيد، وهو قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾[٥٤]، فأكد المعطوف أيضًا؛ فالباء ليكون الكل فى باب التأكيد على منهاج واحد، وليس كذلك الآيتان بعده؛ فإنهما خلتا من التأكيد.

١٧١ ـ قوله: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾[2][٥٥] بالفاء، وقال فى الآية الأخرى: ﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾[٨٥] بالواو؛ لأن الفاء تتضمن معنى الجزاء، والفعل الذى قبله مستقبل يتضمن معنى الشرط، وهو قوله: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [٥٤] أى إن يكن منهم ذلك فما ذكر جزاؤهم، فكان الفاء هاهنا أحسن موقعًا من الواو، والتى بعدها جاء قبلها: ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا﴾[٨٤] بلفظ الماضى وبمعناه، والماضى لا يتضمن معنى الشرط، ولا يقع من الميت فعل، فكان الواو أحسن.

١٧٢ ـ قوله: ﴿وَلا أَوْلادُهُمْ﴾[٥٥] بزيادة (لا)؛ لأنه لما أكد الكلام الأول بالإيجاب بعد النفى وهو الغاية، علق الثانى بالأول تعليق الجزاء بالشرط، اقتضى الكلام الثانى لذلك ما اقتضاه الأول؛ فأكد معنى النهى بتكرار (لا) فى المعطوف.

١٧٣ ـ قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ [٥٥]، وقال فى الأخرى: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾[٨٥]؛ لأن (أن) فى هذه الآية مقدرة، وهى الناصبة للفعل، فصار فى الكلام هاهنا زيادة كزيادة (الباء)، و(لا) فى الآية.

---

(١) انظر تفسير أبى السعود (٢/٢٧٦)، والفتاوى للنووى ص ٢٤٥ مسألة رقم (١٧٨) وفتح الرحمن (ص ١٦٧) مسألة رقم (١٥).

(٢) النووى (ص ٢٤٦) مسألة (١٧٩)، وفتح الرحمن (ص ١٦٧، ١٦٨) مسألة رقم (١٦) ومتشابه القرآن للقاضى عبدالجبار (١/٣٣٨) مسألة رقم (٢٩٥).

١٧٤ ـ قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(١)][٥٥]، وفى الآية الأخرى ﴿فِي الدُّنْيَا﴾[٨٥]؛ لأن الدنيا صفة الحياة في الآيتين؛ فأثبت الموصوف والصفة فى الأولى، وليست الآيتان مكررتين؛ لأن الآية الأولى فى قوم، والثانية فى آخرين، وقيل: الأولى فى اليهود، والثانية فى المنافقين.

وجواب آخر، وهو أن المفعول فى هذه الآية محذوف، أى أن يزيد فى نعمائهم بالأموال، والأولاد، ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا، والآية الأخرى إخبار عن قوم ماتوا علي الكفر، فتعلقت الإرادة بما هم فيه، وهو العذاب.

١٧٥ ـ قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾[(٢)][٣٢]، وفى «الصف»: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾[٨]، هذه الآية تشبه قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾ [٨٥] و﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾[٥٥] حذف اللام من الآية الأولى؛ لأن مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، والمراد الذى هو المفعول به فى «الصف» مضمر، تقديره: ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب، ليطفئوا نور الله، واللام لام العلة، وذهب بعض النحاة إلى أن الفعل محمول على المصدر، أى: إرادتهم لإطفاء نور الله.

١٧٦ ـ قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٧٢] هذه الكلمات تقع على وجهين: أحدهما: (ذلك الفوز) بغير هو، وهو فى القرآن الكريم فى ستة مواضع: فى «براءة» موضعان، وفى «يونس»، و«المؤمن»، و«الدخان»، و«الحديد». وما فى «براءة» أحدهما: بزيادة الواو، وهو قوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١١١]، وكذلك ما فى «المؤمن» بزيادة واو.

والجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخٍ بنزول جاءت مربوطة بما قبلها[(٣)] إما بواو العطف، وإما بكناية تعود من الثانية إلى الأولى، وإما بإشارة فيها إليها، وربما يجمع بين اثنين منها، ،والثلاثة للدلالة على مبالغة فيها:

---

(١) فتح الرحمن (ص ١٦٨) مسألة رقم (١٦).
(٢) فتاوى النووى (ص ٢٤٥) مسألة (١٧٧).
(٣) بالأصل (بما قبلها) وهو تحريف من الناسخ.

ففى براءة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾[٨٩]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾[١٠٠]، وفيها أيضًا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾[٧٢] فجمع بين اثنين، وبعدها: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١١١] فجمع بين الثلاثة؛ تنبيها على أن الاستبشار من الله ـ تعالى ـ يتضمن رضوانه، والرضوان يتضمن الخلود فى الجنان.

قلت: ويحتمل أن ذلك لما تقدمه من قوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾[١١١]، ويكون كل واحد منها فى مقابلة واحد، وكذلك فى «المؤمن» تقدمه: ﴿فاغفر﴾[٧]، ﴿وقهم﴾[٧]، ﴿وأدخلهم﴾ [٨] فوقعت فى مقابلة الثلاثة.

١٧٧ ـ قوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[1][٨٧]، ثم قال بعده: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ﴾[٩٣]؛ لأن قوله: ﴿وَطَبَعَ﴾ محمول على (ما سبق)، وهو قوله: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾[٨٦] مبنى للمجهول.

والثانى: محمول على ما تقدم من ذكر الله ـ تعالى ـ مرات، فكان اللائق: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ﴾ ثم ختم كل آية بما يليق بها، فقال فى الأولى: ﴿لا يفقهون﴾، وفى الثانية: ﴿لا يعلمون﴾؛ لأن العلم فوق الفقه، والفعل المسند إلى الله فوق المسند إلى المجهول.

١٧٨ ـ قوله: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾[2][٩٤]، وقال فى الأخرى: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾[١٠٥]؛ لأن الأول فى المنافقين، ولا يطلع على ضمائرهم إلا الله ـ تعالى ـ ثم رسوله بإطلاع الله إياه عليها كقوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[٩٤] والثانية فى المؤمنين، وطاعات المؤمنين، وعباداتهم ظاهرة لله ورسوله، والمؤمنين، وختم آية

---

(١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (١٦/١٥٦)، وتفسير الطبرى (١٠/٢٤٣)، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٣/٢٦٦)، وفتح الرحمن (ص ١٧١) مسألة رقم (٢٥)، ومتشابه القرآن للقاضى عبدالجبار (١/ ٣٤٢) مسألة (٢٩٩).

(٢) فتح الرحمن للشيخ زكريا الأنصارى (ص ١٧١، ١٧٢) مسألة رقم (٢٦).

المنافقين بقوله: ﴿ثم تردون﴾ فعطفه على الأول؛ لأنه وعيد، وختم آية المؤمنين بقوله: ﴿وستردون﴾؛ لأنه وعد، فبناه على قوله: ﴿فسيرى الله﴾.

١٧٩ ـ قوله: ﴿**إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾[1][١٢٠]، وفى الأخرى: ﴿**إِلاَّ كُتِبَ لَهُم**﴾[١٢١]؛ لأن الآية الأولى مشتملة على ما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿**وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً**﴾ [١٢٠]، وعلى ما ليس من عملهم، وهو الظمأ والنصب والمخمصة.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ بفضله أجرى ذلك مجرى عملهم فى الثواب فقال: ﴿**إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾، والثانية مشتملة على المشاق وقطع المسافات، فكتب لهم ذلك بعينه، وكذلك ختم الآية بقوله: ﴿**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[١٢١]؛ لأن الكل من عملهم، فوعدهم أحسن الجزاء عليه، وختم الآية بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[١٢٠] حتى ألحق ما ليس من عملهم بما هو من عملهم، ثم جازاهم على الكل أحسن الجزاء.

---

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى (١٦/٢٢٢)، وروح المعانى للألوسى (١١/٤٧)، وزاد المسير لابن الجوزى (٣/٥١٩)، وفتاوى النووى ص ٢٤٩ مسألة رقم (١٨٤)، وفتح الرحمن (ص ١٧٣) مسألة رقم (٣١).